الدرس الثاني
تطوّرات هامة
في تاريخ الشرق الأدنى القديم
في صلته بالآباء

مقدمة

تهدف المعلومات التالية إلى تقديم خلفية لدعوة الله لإبراهيم في ضوء الشرق الأدنى القديم في عصره. وقد عاش إبراهيم من حوالي ٢١٦٦-١٩٩١ق م.[١] التالي هو دراسة مسحية للتطورات الرئيسية والمناخ الديني المرتبط بحياته.

الهلال الخصيب

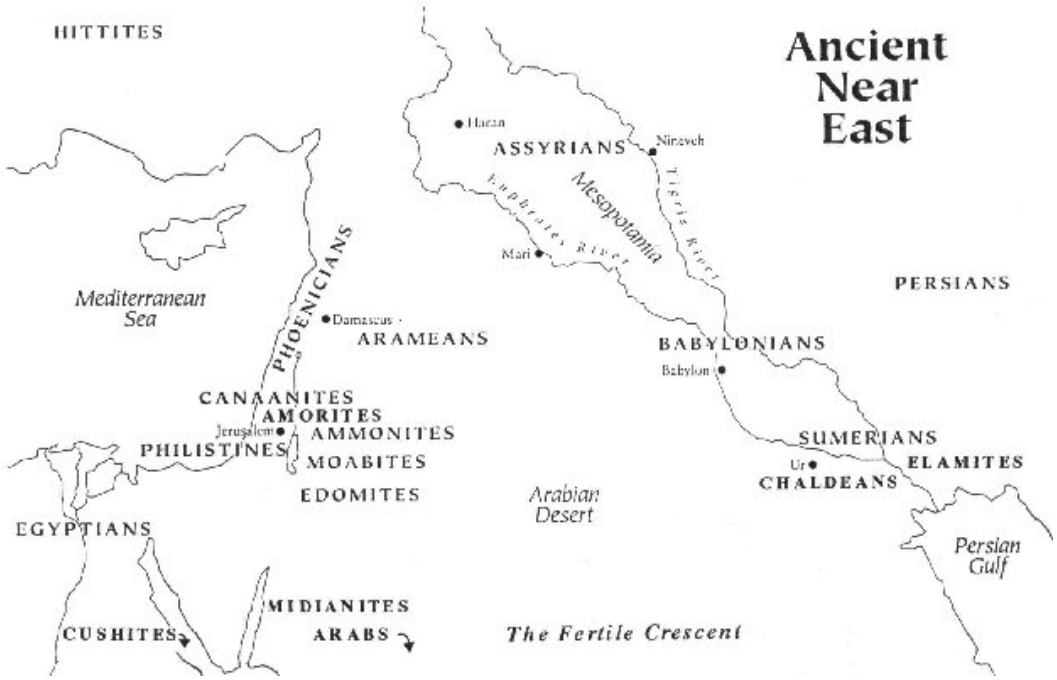

١. التطورات السياسية

أ. قبل ٣٠٠٠ ق م

١. ليس لدينا تاريخ دقيق من السجلات قبل عام ٣٠٠٠ق م.

يكتب يوجين ميرل بشأن هذا: "الفترة الممتدة ما بين ٣٠٠٠ و٢٥٠٠ ق. م. هي في معظمها صفحة بيضاء، من الناحية التاريخية. تسلّط نصوص إبلا بعض الضوء على المشهد الممتدّ ما بين ٢٥٠٠ و٢٢٠٠ ق. م.، ولكنّ معظم ذلك الضوء يقع على منطقة إبلا نفسها وعالم بلاد ما بين النهرين إلى الشرق منها."[٢] ولنقص السجلات التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها للفترة التي تسبق العام ٢٥٠٠ أهمية كبيرة. استنادًا إلى الفهم الحرفي للبيانات الكتابية، يتم تأريخ حدث الطوفان بحوالي ٢٥٥٠ قبل الميلاد وفقًا لبيانات الأنساب في النص الماسوري العبري (أو حوالي ٣٣٢٥ قبل الميلاد وفقًا للترجمة السبعينية)..

---

[١] ج. بول تانر، "التسلسل الزمني للعهد القديم وآثاره على حسابات الخلق والطوفان، *BibSac* 172 (يناير-مارس ٢٠١٥)، ٣٨-٣٩. معظم التواريخ المذكورة هنا مبينة حيثما أمكن على *The Cambridge Ancient History*.

[2] Merrill, *The World of the Word*, 21.

وقد أفسحت القرى على ما يبدو المجال لمدن الهياكل، حيث تتمحور الحياة حول إله. يقول شوانتس،

> "أفسحت القرية في نهاية الأمر المجال لمدينة الهيكل. وتنظَّم الدولة على أساس الافتراض أن كل شيء بما في ذلك الأرض والناس والحيوانات والمزروعات مُلك للإله. وممثّل هذا الإله هو *لوجال*، "الإنسان العظيم". الهيكل مسكنه - في المخازن التي يحفظ فيها نتاج الأرض وعمل الناس. ويحدِّد *لوجال* لكل واحد عمله ومكافأته. ويستقرّ الصنّاع والكهنة والكتبة والجنود حول الهيكل مشكّلين المدينة بمعناها الصحيح. والمجتمع السومري نموذج للمجتمع الثيوقراطي (الذي تحكمه حكومة دينية)."[٣]

٢. الحضارة السومرية

أ. الحضارة السومرية من أقدم الحضارات التي لدينا سجلات عنها.[٤] وقد طوّر السومريون في المنطقة المنخفضة من وادي دجلة – الفرات ما يُعتبر عموماً أقدم حضارة عالية معروفة.

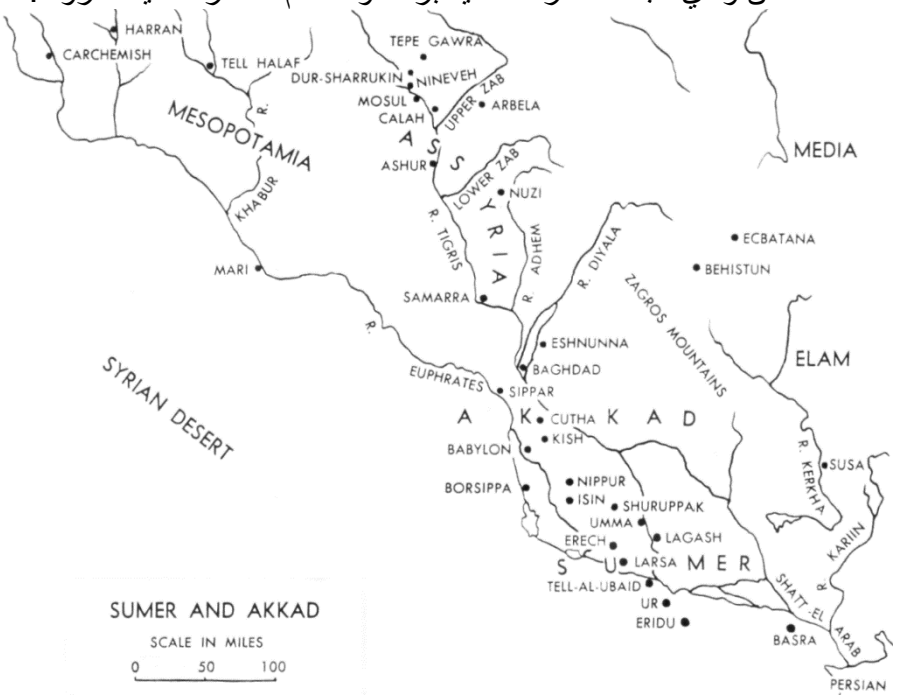

ب. السومريون شعب هامٌ لدراستنا، لأن أور (وطن إبراهيم) كانت مدينة سومرية.

جـ. على الرغم من أن إبراهيم كان من أور، إلاّ أنّه لم يكن سومري النسب، بل ساميّاً. إذ كان السومريون مجموعة عرقية متميزة عن الساميين.[٥]

د. يبدو أن السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة في الفترة ٣٥٠٠-٣٢٠٠ق م. وكانت أحرفهم في بداية الأمر عبارة عن "كتابة تصويرية"، أي بالصور، وتستخدم علامات دائرية للتعبير عن الأعداد. وقد قدّم لنا السومريون أقدم سجلات تاريخية معروفة. إذاً نلاحظ أن الكتابة كانت موجودة قبل ألف سنة على الأقل من دعوة الله لإبراهيم.[٦]

---

[3] Siegfried J. Schwantes, *A History of The Ancient Near East* (Grand Rapids, MI: Baker House, 1965), 22.

[٤] الكتاب الذي يُعتبَر المصدر الرئيسي والأشهر بشأن حضارة سومر هو Samuel N. Kramer, *The Sumerians: Their History, Culture, and Character* (Chicago: University of Chicago Press, 1963). انظر أيضاً D. Schmandt-Bessarat and S. M. Alexander, *The First Civilization: The Legacy of Sumer* (Austin, TX: University of Texas Press, 1975).

[٥] وفضلاً عن ذلك كانت القواعد اللغوية للغات الساميّة تختلف. يقول و. فون سودن، "اللغات السامية لغات متغيرة التصريف، أي أنها تغير جذور كلماتها. ولا تشترك اللغات السامية في هذه السّمة إلاّ مع اللغات الحامية في إفريقيا والإندو – جرمانية أو اللغات الإندو - أوروبية في وأوروبا وآسيا" (*The Ancient Orient, 18*) وبالمقابلة فإن اللغة السومرية غير متغيرة التصريف، أي أنها لا تغيّر جذور كلماتها).

[٦] أصبحت الكتابة المسمارية اعتباراً من حوالي ٢٥٠٠ق م (التي تمتاز بالأشكال الوتدية المحفورة على ألواح طينية بواسطة المرقم (أو قلم السِّمَة) الواسطة القياسية للكتابة في العالم البابلي-الأشوري (الذي يشار إليه عادة على أنه أكّادي). ولأن هذا النظام استخدم عدة "إشارات"، أو "علامات"، فإنه كان يُستخدم بشكل رئيسي من قبل مجموعة خاصة من الكتبة أو الأشخاص المدربين تدريباً عالياً. ولم تظهر الكتابة بالحروف الأبجدية الفينيقية في سورية – فلسطين إلاّ في حوالي ١٢٠٠ق م. وقد أدّى هذا النظام المقتصد في استخدام الرموز (حيث استخدم ٢٢ حرفاً فقط) إلى تعزيز الكتابة والقراءة

هـ. من سجلاتهم التاريخية
١) حكام معمّرون كثيراً (طويلو العمر)
٢) تقسيم الزمن إلى ما فترتي ما قبل الطوفان وما بعد الطوفان.

ب. أوائل العصر البرونزي (٣٣٠٠-٢١٠٠ق م)

١. استمرّ السومريّون الذين كانوا القوة الرئيسية في الفترة السابقة لـ ٣٠٠٠ ق م في هيمنتهم على مدى قسم كبير من فترة العصر البرونزي أيضاً.
٢. كانت أور مدينة سومرية (= تل المُقَيَّر)

أ. أنَّ إبراهيم كان من أور أمر ذو دلالة. فقد كانت أور مدينة هامة في ذلك الوقت، وكانت النقطة المركزية للإمبراطورية السومرية. وكانت كوزموبوليتانية (أي أنها تألّفت من عناصر اجتمعت من مختلف أرجاء العالم)، وكانت تؤمن بآلهة متعددة.

ب. نقّب سي. ل. وولي عن مدينة أور التاريخية أثناء السنوات ١٩٢٢-١٩٣٤.

جـ. تم التنقيب وإيجاد عدد من الهياكل في أور. وكان إله المدينة الرئيسي هو نانّار، إله القمر عند السومريين (وهو معروف في الأكادية باسم "سِن"). وقد بُنيت عدة هياكل وزقورة كبيرة لنانّار. وإن من المثير للاهتمام أن الإله الرئيسي المعبود في حاران (التي انتقل إليها إبراهيم في نهاية الأمر) هو إله القمر السامي "سِن."

د. الخلفية الدينية لإبراهيم
"هكذا قال الرب إله إسرائيل: "آباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى." – يشوع ٢٤: ٢.

هـ. الزقّورات
كانت الزقّورات أبنية كبيرة على شكل مصاطب ينتصب على قمته موضع مقدس يكرَّس للإله المحلي. وقد عُثِر على مثل هذه الزقورات في جميع أنحاء منطقة ما بين النهرين. والزقورة الموجودة في أور من أحسنها من حيث الحالة المحفوظة عليها. ويُفترض أن الإله يزور الزقورة في أوقات معينة. وتعود الزقورة الموجودة في أور حتى اليوم إلى الفترة الثالثة من أور، إذ انتهى بناؤها حوالي ٢١٠٠ق م، أي أثناء حياة إبراهيم (إذ غادر حاران متوجهاً إلى كنعان في حوالي العام ٢٠٩١ ق م).

بقايا الزقورة في أور الكلدانيين

٣. الإمبراطورية الأكادية (٢٣٧١- حوالي ٢٢٠٠ق م)

إلى حد كبير. وقد جاء نظام الحروف الأبجدية العبرية من الكتابة الفينيقية. Cf. Joseph Naveh, *Origins of the Alphabets; Introduction to Archaeology* (Jerusalem, Israel: The Jerusalem Publishing House, Ltd., n. d.).

أ. حدث اختراق تدرّجي من الساميين لسومر من أماكن في المنطقة العليا من بلاد ما بين النهرين (المنطقة العليا من نهري دجلة – الفرات).[٧]

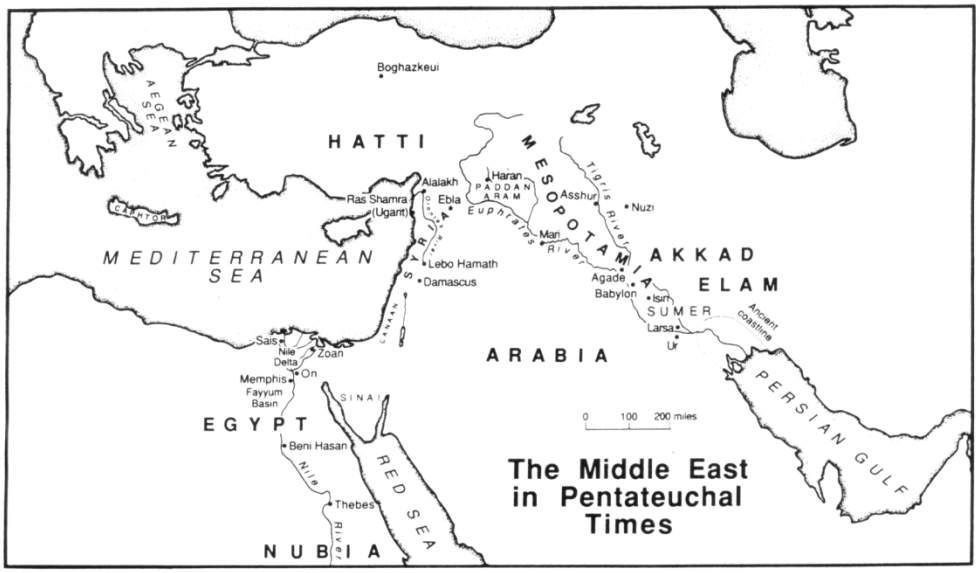

خارطة الشرق الأوسط في زمن الأسفار الخمسة

ب. سرجون "الكبير" الأكادي (٢٣٢٠-٢٢٦٥)[٨]

الراجح أن سرجون الكبير هو الشخصية الكتابية التي تُدعى "نمرود" (تكوين ١٠: ٨-١٢).[٩]

١) قبل سرجون كان الساميّون والسومريون يسكنون معاً في الأرض. وقد تقدم الساميّون إلى مركز القوة بقيادة سرجون قبل زمن إبراهيم.

٢) بنى سرجون عاصمته الجديدة في أكّاد (= أجيد). ولا يُعرف موقعها بالضبط، لكن يُعتقد أنه موجود في منطقة بابل في القسم الجنوبي لمنطقة ما بين النهرين، ولا نعرف الكثير عن أشور إلى الشمال أثناء الألفية الثالثة ق م.

٣) مع الغزو الذي قام به الحكام السومريون في المنطقة السفلى لدجلة – الفرات، صارت هذه أول سلالة ساميّة.

٤) يمكن اعتبار الإمبراطورية الأكادية أول "إمبراطورية عالمية". وقد انتشرت الثقافة الأكادية عبر الهلال الخصيب.

---

[٧] الكلمة الإنجليزية "ميسوبوتيميا" (Mesopotamia) تعني "بين النهرين".

[٨] يحدد بي. فان دير مير التاريخين على أنهما ٢٣٤٢-٢١٨٦ (*Chronology of Western Asia and Egypt; 1955*). غير أن و. فون سودن يحدد تاريخي سارجون على أنهما ٢٣٣٠-٢٢٧٤ (*The Ancient Orient*, 48). يقترح بتروفيتش حوالي ٢٣٢٠-٢٢٦٥ ("تحديد النمرود،" ٢٨٢).

[٩] حسب Waltke, *Genesis*, 169، و D. J. Wiseman, *NBD* 888. وحديثاً، قدّم دوغلاس بيتروفيتش أدلةً تظهر أن نمرود هو سرجون الكبير. انظر Douglas Petrovich, "Identifying Nimrod of Genesis 10 with Sargon of Akkad by Exegetical and Archaeological Means," *JETS* 562 (June 2013), 273-305. قد لا يكون الاسم "نمرود" هو اسمه الملكي، ولكنه اسمٌ أُعطي له في الكتاب المُقدَّس ليصف طبيعته ومقاصده (فمعنى "نمرود" هو "المتمرد"، حسب Wenham, *Genesis*, 222).

٥) وُضعت اللغة الأكادية (وهي لغة سامية) على شكل كتابة تستخدم الطريقة المسمارية، وهو أسلوب يستخدم "أشكالاً وتدية" على ألواح خزفية أُخِذَ عن السومريين. أمّا الحضارة الأخرى العظيمة في وادي النيل في مصر فكانت تستخدم الكتابة الهيروغليفية.
٦) كانت الديانة الأكادية تتمحور حول "شمَش"، إله الشمس عند الأكاديين. فكان النظام الديني نجمياً فلكياً في طبيعته.

٤. غزو الجوتيين
في حوالي ٢٢٠٠ق م غزا شعب جوتي (إلى الشمال الشرقي من بابل) المنطقة الجنوبية من دجلة – الفرات وهزموا سلالة أكّاد القوية. وقد هُزِموا بدورهم على يد أوتو-هيجال من أوروك وتم طردهم (حوالي ٢١١٥ق م). وقد حدث هذا التطور السياسي أثناء وجود إبراهيم في أور وحاران.
٥. الفترة الثالثة لأور (٢١١٥ق م – حوالي ٢٠٠٠ق م)
دُمِّر بيت إبراهيم في أور أثناء هذه الفترة.

جـ. حمورابي البابلي (١٧٩٢-١٧٥٠ق م)[١٠]

ملاحظة: مات يوسف في عام ١٨٠٦ق م. وتُعرف الفترة ما بين ١٩٥٠-١٥٣٠ق م على أنها الفترة البابلية القديمة. وحمورابي هو أشهر ملوك هذه الفترة في منطقة ما بين النهرين.
١. حمورابي مشهور بالقانون المعروف باسمه (تم اكتشافه في عام ١٩٠٢ م في شوشن).
٢. اكتشفت قوانين في الشرق الأدنى القديم تعود إلى تاريخ أسبق، لكن هذا هو أكثرها اكتمالاً. تصوّر هذه الصورة الملك ماثلاً أمام إلهه ليتلقّى الشريعة من يديه.
٣. لم تكن هذه الشريعة جديدة كلياً، لكنها كانت تجميعاً وتصنيفاً لقرارات واجتهادات المحاكم في ذلك الوقت في منطقة ما بين النهرين.
٤. الشريعة مكتوبة بـ "أسلوب الإفتاء في قضايا الضمير والسلوك"، مع ذكر لحالات افتراضية يتبعها الجزاء الملائم.

٢. مساهمات أدبية دينية[١١]

إن أهمّ عملين أدبيين في هذه الفترة هما إنوما إليش وملحمة جلجامش. يتضمن الأول سرداً لعملية الخلق والآخر طوفاناً كونياً. وتختلف الروايتين إلى حد كبير عن الرواية الكتابية، على الرغم من انه أمر مثير للاهتمام أن نجد رواية موازية للطوفان من مصدر أدبي خارج الكتاب المقدَّس. وعلى الرغم من أن هاتين الروايتين تعودان إلى فترة بعيدة في التاريخ، إلاّ أنهما وجدا تعبيرهما التقليدي في اللغة الأكادية في زمن حمورابي. وفي هاتين النسختين، تمجّد الروايتان بابل. ويتخلى إنليل إله نبّور القديم عن مكانة الكرامة لمردوك، إله بابل المحلي.
الدلالة: يمثل هذا نظرة العالم التي بدأ منها الله برنامجه الفدائي بإبراهيم وعاش الآباء في فترة وجودها. وتشكّل هاتان الروايتان تناقضاً كبيراً مع الروايات الكتابية.

---

[١٠] يحدد و. فون سودن فترة حمورابي على أنّها ١٧٢٩-١٦٨٦ق م.
[١١] للاطلاع على مُقدّمة ممتازة إلى مقارنة المواد الأدبية المكتوبة التي تعود للشرق الأدنى القديم، انظر Michael A. Grisanti, "Ancient Near Eastern Literature and the Old Testament," in *The World and the Word*, 53-78. يُعتبَر المصدر الأساسي والأشهر لنصوص الشرق الأدنى القديم: J. B. Pritchard, ed., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, 3rd ed. (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969). من الأدوات المفيدة في تقييم كتابات ووثائق الشرق الأدنى القديم: Bill T. Arnold and Bryan E. Beyer, *Reading from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study* (Grand Rapids: Baker, 2002)؛ و John H. Walton, *Ancient Near Eastern Thought and the Old Testament* (Grand Rapids: Baker, 2006)؛ و Victor H. Matthews and D. C. Benjamin, *Old Testament Parallels: Laws and Stories from the Ancient Near East*, 3rd ed. (NJ: Paulist Press, 2007).

أ. إنوما إليش (ملحمة الخلق)

في هذه الرواية لا تأتي الخليقة من الإرادة المنطوقة لله الواحد المحب، بل من صراع بين آلهة عديدة. تبدأ هذه الرواية بعلاقة آبسو (إله الماء العذب) وتيامات (إلهة المياه البحرية). وينجب هذان آلهة عديدة. ويقوم الإله إيا "كلي الحكمة" بقتل "آبسو"، وهو عمل يؤدي إلى خلق مردوك. وتسعى تيامات، زوجة آبسو إلى الانتقام من إي الذي قتل آبسو. ويتم اختيار مردوك (الذي خلقه إيا) ليكون بطل إيا، وفي سياق القصة يقوم مردوك بقتل تيامات.

وفي نهاية الأمر يُقتل أيضاً كِنجو (رئيس أركان تيامات)، وصنع إي من دمه البشر بقصد "خدمة الآلهة". ولأن مردوك أنقذ الآلهة من تيامات الشرّيرة، بنوا له مدينة بابل، تلك العاصمة العظيمة. وهكذا صارت هذه المدينة هي المدينة التي تفضّلها الآلهة. وتنتهي القصيدة بجعل بابل مسكناً للآلهة. والفكرة واضحة هنا، وهي أنه يجب أن تمجَّد بابل كسيدة للشعوب، وأن يمجَّد مردوك بصفته الإله الرئيسي في مجمَّع آلهتها.

ب. ملحمة جلجامش (تسرد رواية لطوفان؛ انظر غريسانتي، *العالم والكلمة*، ٥٨-٥٩)

تدور هذه القصة الشعرية حول شخص معروف باسم الملك جلجامش. ولهذا الملك صديق اسمه إنكيدو. ويُقتل إنكيدو هذا عقاباً له على إزعاجه للآلهة. ونتيجة لذلك يحس جلجامش بألم عميق ويذهب بحثاً عن الخلود. ويصوّر أحد أبيات القصيدة معضلة البشر:

"عندما خلقت الآلهة البشر، خصَّصوا الموت للبشر، مُبقين الحياة في أيديهم."

تمثلت خطة جلجامش في أن يجد شخصاً اسمه أتنابِشتيم يمكن أن يساعده في مسعاه. وأتنابِشتيم هذا نظيرٌ نوعاً ما لنوح الكتابي. فقد بقي أتنابِشتيم حياً بعد الطوفان بمساعدة إي، وهو الوحيد الذي حصل على الخلود. ويلخص شوانتس كيفية مساعدة أتنابِشتيم لجلجامش:

> "يسرد أُتنابِشتيم على مسمع جلجامش التعليمات التي تلقّاها للإعداد لبناء سفينة، والعاصفة الشديدة التي جلبت الطوفان، وكيف أنه أرسل أولاً حمامة، ثم طائر السنونو، وأخيراً غراباً لم يعد.... وقد وبخت الآلهة إنليل على جلبه للطوفان وتدمير كل البشر، فنزل على متن السفينة ومنح أُتنابِشتيم وزوجته حياة الخلود.[١٢]

ولكن للأسف، لم يعُد جلجامش إلى موطنه ومعه سرّ الخلود، ولذا بقي على الجنس البشري أن يعاني الموت.

[12] Siegfried J. Schwantes, 40.